

حديث التقريب .. فتى كربلاء العباس بن علي (ع)



نحن في الاسبوع الأخير من شهر محرم الحرام 1446 هـ.. الشهر الذي شهد في العاشر منه سنة 61هـ واقعة كربلاء. وقد وقفنا عند اثنين من أبطال الواقعة هو الحسين بن علي واخته زينب بنت علي عليهم السلام، ونقف هنا عند رمز كبير آخر من رموز هذه الواقعة هو العباس بن علي عليه السلام.

تميّز العباس بأنه فتى كربلاء ورأس فتوة السقائين في التاريخ الإسلامي.

الفتوة في التاريخ الإسلامي من مظاهر حياة هذه الأمة، ومن معطيات ثقافتنا التي تحفز دائماً على الاستنهاض والحركة على طريق الكمال الإنساني.

الفتوة خصلة فطرية في الإنسان تحفّزه على الخروج من ذاتيته وأنانيته ليسخّر نفسه في سبيل مثله الأعلى عن طريق خدمة الناس، وليقدّم التضحيات من أجل ما يحبّ ويعشق. والإنسان الراسخ في أغلال ذاتيته ومتطلبات بهيميته ميّت، لأنه ليس بعاشق، وليس بحيّ، وحافظ الشيرازي يفتي بإقامة صلاة الميت عليه!!

هرکه در این حلقه زنده نیست بعشق

بر او بفتواى من نماز

کنید

أي : كل من ليس في جمعنا حياً بالعشق

أقيموا عليه - بفتواى - صلاة الميــــت

وهذه الفتوى ليست طبعاً فتوى فقهية، بل هي فتوى حضارية ترى الإنسان حياً بالعشق، أي بالحركة نحو المثل الأعلى المعشوق، ومن يفتقد هذه الحركة التكاملية فهو ميّت.

من هذا المنطلق الإحيائي نشأت سلسلة الفتوات في العالم الإسلامي، وأُلِّفت حولها الكتب والرسائل والدراسات قديماً وحديثاً، وجمع المستشرق براون عدة رسائل بالفارسية حول الفتوة تحمل اسم «فتوت نامه» أي كتاب الفتوة.

ويلاحظ فيها جميعاً أن أصحاب الفتوة نهضوا في الفترات العصيبة من حياة الأمة ليثبتوا رجولتهم، ولا نعني طبعاً الرجولة الجنسية، بل الرجولة الروحية، أي ليثبتوا أنهم يعيشون من أجل خدمة الناس، ويضحون براحتهم بل وبنفسهم أحياناً في سبيل إسعاف حالة فردية أو اجتماعية في أوطانهم.

ويلاحظ في هذه الكتب أن أصحاب الفتوات متعالون على انتماءاتهم الضيقة القومية أو الطائفية. ففي السلسلة الواحدة تجد عربياً وعجمياً، وتجد سنيّة وشيعية، وتجد خطاباً يجعلك تنظر إلى هذه الجماعة بأنها ارتقت إلى مستوى الملائكة!!

وتجد بين سلاسل المنتمين إلى الفتوات من العاملين في الحقول المختلفة. وأخص الحديث هنا عن سلسلة السقائين.

هذه السلسلة كانت تحمل الماء في زمن شحّ الماء إلى المحتاجين لتروي الظمأى، وكان في هذه السلسلة رجال كبار تشرّفوا بحمل قربة الماء وخدمة الناس ومنهم سعدي الشيرازي الشاعر الإيراني الذي أنشد بالعربية والفارسية، وقدم أروع الآثار العالمية في أثره: گلستان = روضة العطر، وبوستان، روضة الورد.

ومن الملفت للنظر أن هؤلاء السقائين يتشرفون في انتساب سلسلتهم إلى فتى كربلاء العباس بن علي بن

أبي طالب (عليه السلام) والعباس مدفون في كربلاء، وضريحه مزار للعاشقين، ويقع على بعد 500 متر تقريبا من ضريح أخيه الإمام الحسين بن علي(ع).

حول العباس يروي أبو مخنف في كتابه مقتل الحسين :

عن الضحاك بن قيس أن الحسين عليه السلام لما خطب خطبته على راحلته ونادى في أولها بأعلى صوته : أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني، سمع النساء كلامه هذا فصحن وبكين وارتفعت أصواتهن. فأرسل إليهن أخاه العباس وولده عليا وقال لهما : اسكتاهن فلعمرى ليكثرن بكاؤهن ، فمضيا يسكتاهن حتى إذا سكتن عاد إلى خطبته ، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه. قال : فوا ما سمعت متكلمًا قط لا قبله ولا بعده أبلغ منه منطقتًا. قال أهل السير : وكان العباس ربما ركز لوائه أمام الحسين وحامى عن أصحابه أو استقى ماء فكان يلعب السقاء ، ويكنى أبا قربة بعد قتله . قالوا : ولما رأى وحدة الحسين عليه السلام بعد قتل أصحابه وجملة من أهل بيته قال لإخوته من أمه : تقدموا لاحتسبكم عند الله تعالى فانه لا ولد لكم، فتقدموا حتى قتلوا ، فجاء إلى الحسين عليه السلام واستأذنه في القتال. فقال (ع) له : أنت حامل لوائي ، فقال : لقد ضاق صدري وسئمت الحياة ، فقال له الحسين (ع) . إن عزمت فاستسق لنا ماءا ، فأخذ قريته وحمل على القوم حتى ملأ القربة. قالوا واغترف من الماء غرفة ثم ذكر عطش الحسين(ع) فرمى بها ، وقال :

يا نفس من بعد الحسين هوني

هـذا الحسين وارد المنـون

وبعده لا كنت أن تكوني

وتشربين بـوارد المعين؟!!

ثم عاد فأخذوا عليه الطريق فجعل يضربهم بسيفه وهو يقول :

لا أرهب الموت إذ الموت رقا

إنني أنا العباس أغـدو بالسقا حتى أُراني في المصاليت لقي

ولا أهاب الموت بـيوم الملتقى

فضربه حكيم بن طفيل الطائي السبسي على يمينه فبراها فأخذ اللواء بشماله وهو يقول:

وا إن قطـعتمُ يميني إنني أحامي

أبـدًا عن ديني

فضربه زيد بن ورقاء الجهني على شماله فبراها ، فضم اللواء إلى صدره (كما فعل عمه جعفر إذ قطعوا يمينه ويساره في مؤتة فضم اللواء إلى صدره) وهو يقول :

ألا تـــــــرون معـــــــشر الفـــــــجـــــــار قد قطعوا ببعيهم يساري

فحمل عليه رجل تميمي من أبناء أبان بن دارم ، فضربه بعمود على رأسه ، فخر صريعاً إلى الأرض ، ونادى بأعلى صوته : أدركني يا أخي ، فانقضَّ عليه أبو عبد الله كالصقر فرآه مقطوع اليمين واليسار مرضوخ الجبين ، مشكوك العين بسهم ، فوقف عليه منحنيًا وجلس عند رأسه يبكي حتى فاضت نفسه ثم حمل على القوم فجعل يضرب فيهم يمينًا وشمالا ، فيفرون من بين يديه وهو يقول : أين تفرون وقد قتلتم أخي . أين تفرون وقد فتتّم عصدي . ثم عاد إلى موقفه منفردًا وكان العباس آخر من قتل من المحاربين لأعداء الحسين عليه السلام. وفيه يقول الكميّ بن زيد الأسدي :

وأبو الفضل إنَّ ذكرهم الحلو

قتل الأديعــــــــــــــــاء إذ قتلــــــــــــــــوه شفــــــــــــــــاء النفوس في الأسقام
أكرم الشاربين صوب الغمام

ويقول حفيده الفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيداً بن العباس (ع) :

إني لأذكر للعباس موقفه

يحمي الحسين ويحميه عليّ ظمأ

ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده

أكرم بــــــــــــــــــــه مشهــــــــــــــــداً بانت فضيلتــــــــــــــــــــه بكــــــــــــــــربلاء وهــــــــــــــــام

القوم تختطف

ولا يــــــــــــــــولى ولا يــــــــــــــــنى فيختلف

مع الحسين عليه الفضل والشرف

وما أضعــــــــاع لــــــــــــــــه أفعــــــــاله خلــــــــــــــــف

ومن رثاء أمه فاطمة أم البنين ما أنشده أبو الحسن الأخفش في شرح الكامل، وقد كانت تخرج إلى البقيع كل يوم تربيته وتحمل ولده عبيداً فيجتمع لسماع رثائها أهل المدينة، و فيهم مروان بن الحكم فيكون لشجى الندبة . قولها رضى الله عنها :

لا تدعونني ويك أم البنين
كانت بنون لي أَدعى بهم
أربعة مثل نسور الربي
تنازع الخرمان أشلاءهم
يـاليت شعري أكـمـا أخبروا
تذكّرني بليوث العرين
واليوم أصبحت ولا من بنين
قد واصلوا الموت بقطع الوتين
فكلهم أمسى صريعاً طعين
بأن عباساً قطعُ اليمين؟!!

(انتهى ما نقلناه من مقتل أبي مخنف ملخصاً)

والعباس دخل في الوجدان الشعبي بأنه ساقى عطاشى حرم الحسين، وبأنه وعَدَدَ بنات أخيه أن يأتي لهنّ بالماء، وظلّ يجدّ في إيصال الماء إلى الخيام حتى بعد أن قطعت يمينه ويساره، إلى أن جاء سهم فأصاب القربة. فانهارت قوى العباس على أثر النزف في يديه وعلى أثر الجراح في بدنه والضرية على رأسه وأقطع من ذلك إراقة الماء الذي وعد بإيصاله إلى حُرْمِ رسول الله(ص). فوقع في مكانه ودُفن حيث سقط ولذلك كان مرقده على مسافة من الحسين وسائر الشهداء.

وهكذا أصبح هذا الرجل المثل الأعلى للفتوة عامة، وللسلسلة السقائين بشكل خاص.

وما أجدد بأمتنا أن تحيي هذا المثل الأعلى في وجدانها، خاصة ونحن نعيش في عصر تكاد تغيب فيه «الشهامة» و«الرجولة» و«الفتوة»، بل وفي عصر يحاصر فيه أهل الشهامة والفتوة، ويُرشفون بألسنة حداد ويقتلون وتهدم بيوتهم ظلمًا وعدوانًا.

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية/

الشؤون الدولية